

الشخصية الروائية بين المقاومة والعنف الدموي في رواية الصدمة لياسمينه خضرا

The Fictional character between resistance and bloody violence in Shock's novel, yasmina Khadra

* اسيا عمراني

جامعه العربي التبسي- تبسة- (الجزائر) ameraniassia@gmail.com

شادية شقروش

جامعة العربي التبسي- تبسة- (الجزائر) ameraniassia@gmail.com

تاريخ الوصول 2020/09/24 تاريخ القبول 2021/05/08 تاريخ النشر 2021/06/01

ملخص:

يسعى هذا البحث الى دراسة وتحليل الشخصية الروائية في رواية الصدمة لياسمينه خضرا التي تناولت القضية الفلسطينية مجسدة معاناتها وصراعاها الدامي وانتفاضتها المقاومة ضد الكيان الصهيوني، وذلك من خلال تفعيل دور الشخصيات التي أثرت في سير خط الأحداث وأدت الى توليد المعاني مما أدى إلى سيرورة العمل السردي وديمومته، معرجين في ذلك على ظاهرة الإرهاب على اعتبارها الأرضية الخصبة والبنية الموضوعية التي نسجت بناء الحدث الروائي.

الكلمات المفتاحية: الشخصية الروائية، الصدمة، ياسمينه خضرا، الإرهاب.

Abstract:

This research seeks to study and analyze the character The novelist in the novel Shock to **Jasmina Khadra** that The Palestinian issue was tackled, as its suffering and bloody conflict were embodied And its uprising of resistance against the Zionist entity This is through activating the role of personalities That affected the course of the event line and generated meanings The process is going And continuity of narrative are passing through the phenomenon of terrorism It is fertile ground And objective structure that formed Pleased Events in the novel.

Keywords: Novelist, Shock, Yasmina Khadra, Terrorism.

مقدمة:

شغلت ظاهرة الإرهاب حيزا كبيرا في الأدب العالمي، وأخذ الاهتمام بها يطال المجال الروائي باعتباره أكثر قدرة ومرونة في معالجة أسباب هذه الظاهرة، ورؤية أدق التفاصيل الاجتماعية والسياسية والدينية والاقتصادية التي تتعلق بها من وجهة نظر الروائي، فغدى الإرهاب ظاهرة دولية بلا هوية، خصوصا بعد تطبيقها على عدد من

أعمال العنف التي لا يمكن وصفها بالإرهاب فليس كل استخدام للقوة أو للعنف هو إرهابا ، حيث هناك من الجرائم ما يتضمن استخدام القوة أو العنف ولا يعد إرهابا، وإنما الإرهاب هو نوع خاص من العنف ، واستخدام القوة فيه يهدف إلى خلق جو من الرعب والخوف ، والترويع والذعر بين أكبر عدد من الأشخاص والمدنيين، ويتضمن موضوعه تقتيل الأبرياء من الأطفال والنساء والشيوخ وتدمير وتخريب الممتلكات والمرافق ، عامها وخاصها، بغية الوصول إلى بث الرعب والفزع في نفوس طائفة من الشعوب، لقد أصبحت بالفعل الرواية ديوان الحياة المعاصرة ، حيث أنها استجابت لكل الأوجاع والماسي والآمال الإنسانية ، سواء بين الذات والآخر أو بين الذات ونفسها، فهي تحمل كل وجهات النظر الحوار والحوار المضاد والبطل المضاد ، لأنها عالم بأكمله يستطيع أن ينسج خيوطه بمهارة الروائي، حيث نجد فيها حياة موازية للحياة التي نحيها ونعيشها بالفعل، بحيث يخضع عالمها لهندسة دقيقة ورؤية عميقة وشخصيات مرسومة بعناية ، وقد اعتمدت رواية الصدمة على تفعيل الخطابية بين الشخصيات لإبراز المواقف السياسية المتعددة، مسلطة الضوء على الصوت الإسرائيلي وموقفه من العمليات الفدائية، وهو صوت يحط من شان المقاومة الفلسطينية، ويصفها بالإرهابية فالمقاوم في نظر السلطة الاسرائيلية ماهو إلا انتحاري يتحول إلى أسهم نارية ينطلق بكل طيش ضد دبابة العدو، وهو ما تكشف عنه شخصيات الرواية المتعددة ، فإلى أي مدى ساهمت الشخصية بتعددتها في رصد وإبراز ظاهرة الإرهاب على اختلاف مسمياته على ضوء الصراع الفلسطيني المتجذر ضد الكيان الصهيوني المعتدي على الأرض والشرف؟

1- في ماهية الإرهاب:

أ- الإرهاب في اللغة:

تشق كلمة إرهاب من الجذر اللغوي "رَهَبَ يَرْهَبُ رهبة، أي خاف، ورهبه أي خافه، والرهبة هي الخوف والفزع، وهو راهب من الله، أي خائف من عقابه، مصدر أرهب ومعنى أرهب في اللغة خَوْفٌ، أما الفعل المزيد بالتاء تَرَهَّبَ فيعني انقطع للعبادة في صومعته، ويشق منه الراهب والراهبة والرهبانة، والترهب التَّعَبُدُ¹، ويقال "رهبوت خير من رحموت، بمعنى لأن ترهب خير من أن ترحم. وجاء في أساس البلاغة قوله: هو «رجل»².

الواضح أن المعاجم العربية القديمة قد خلعت من كلمتي الإرهاب والإرهابي؛ لأنهما حديثتا الاستعمال ولم تكن شائعة في الأزمنة القديمة، وقد أوردت المعاجم اللغوية المعاصرة مفهوما لغويا للإرهاب في مفهومه الحديث ، بدا بالنص الديني مرورا بالمعاجم اللغوية المعاصرة، فقد ورد لفظ الإرهاب في السنة الشريفة، في حديث عن عبد الرحمان بن أبي ليلى قال: «حدثنا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، أنهم كانوا يسرون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسير، فنام رجل منهم، فانطلق بعضهم إلى بغل معه، فأخذها، ولما استيقظ الرجل فزع، فضحك القوم، فقال: ما يضحككم؟، فقالوا: لا، إلا أنا أخذنا نعل هذا ففزع، فقال رسول الله عليه وسلم: لا

يحل لمسلم أن يُروِّع مسلماً». قال "ابن كثير في التفسير" في قوله تعالى: «ترهبون»، أي تخوفون به عدو الله وعدوكم من الكافرين، أما القرطبي فيرى معناها: تخيفون به عدو الله وعدوكم من اليهود وقريش وكفار العرب.³ أما في قاموس اللغة الإنجليزية "أكسفورد"، نجد أن كلمة "Terrorist" الإرهابي: "هو الشخص الذي يستعمل العنف المنظم لضمان نهاية سياسية، والاسم "Terrorism"، يعني الإرهاب، يقصد به العنف والتخويف، أو الإرعاب وبخاصة في أغراض سياسية."⁴

إلى جانب المعاجم اللغوية العامة هناك معاجم متخصصة فقد ورد في معجم "مصطلحات العلوم الاجتماعية" أن الإرهاب يعني: «بث الرعب الذي يثير الخوف والفرع، أي الطريقة التي تحاول بها جماعة منظمة أو حزب أن يحقق أهدافه عن طريق استخدام العنف...»⁵.

يتضح لنا مما سبق أن لفظة الإرهاب في معناها العام اللغوي تعطي معنى الخوف والفرع والرعب.

ب- الإرهاب في الإصطلاح:

دخلت فكرة الإرهاب عالم الفكر القانوني لأول مرة في المؤتمر الأول لتوحيد القانوني العقابي الذي انعقد في مدينة وارسو في بولندا عام 1930، ومنذ ذلك التاريخ انبرى عدد من الكتاب والعلماء والأدباء لوضع تعريف جامع مانع للإرهاب والتصدي لهذه المسألة التي تذر قرنها في جنبات العالمين العربي والغربي، ولا مزية في أن للمفاهيم أهمية في تحديد المصطلحات وتبيان دلائلها، وذلك لإزالة اللبس والغموض الذي قد يعلق بذهن القارئ، يقودنا ذلك إلى ذكر مجموعة من التعريفات لمفهوم الإرهاب، وقبل أن نستهل في الحديث عن ذلك جري بنا أن نشير إلى حقائق مهمة، هي أن الإرهاب لا صلة له بالإسلام أبداً، فهو عمل شيطاني لا دين له ولا انتماء ولا وطن، كما أنه مرفوض شرعاً مهما كانت الأسباب والمبررات.⁶

لقد كانت أهم المحاولات لتعريف الإرهاب في الفقه الغربي تلك التي بذلت عام 1930 أثناء مؤتمر 'وارسو'، حيث اختلفت المعايير المعتمدة لتحديد هذا المفهوم عند أصحابه، وذلك بناء على أولويات معينة وأفكار مسبقة. فنجد "أريك دفيد" Eric David يعرف الإرهاب بناء على طابعه الأيديولوجي، وذلك في قوله: «عمل عنف أيديولوجي يرتبط بأهداف سياسية».⁷

أما في الفقه العربي، فقد وضع مجلس وزراء الداخلية العرب تعريفاً للإرهاب، في الاتفاقية العربية لمكافحة الإرهاب المنعقدة في القاهرة "أبريل 1998"، في الفقرة الثانية من المادة الأولى، ونصه: «كل فعل من أفعال العنف أو التهديد به أيا كانت بواعثه أو أغراضه، يقع تنفيذاً لمشروع إجرامي فردي أو جماعي، ويهدف إلى إلقاء الرعب بين الناس أو ترويعهم بإيذائهم أو تعريض حياتهم أو حريتهم، أو أمنهم للخطر، أو إلحاق الضرر بالبيئة أو بأحد المرافق أو الأملاك العامة أو الخاصة أو احتلالها أو الاستيلاء عليها، أو تعريض أحد الموارد الوطنية للخطر».⁸

3- ظاهرة الإرهاب في الخطاب الروائي العربي :

تزامن ظهور الرواية العربية مع بداية مشروع النهضة وكانت الرواية أحد مظاهرها وتحليلاتها الجمالية، إشتبكت منذ البدء بالإضافة إلى معوقات الولادة الفنية، مع معوقات التحرر السياسي والحرية الاجتماعية والفكرية، فكانت خطابا تنويريا بامتياز يغرد خارج سرب ثقافة السلطة والسلطان، لقد واكب تطورها التيمي التحولات الاجتماعية الكبرى، حيث واجهت جهل المؤسسات التقليدية إلى غاية خمسينيات القرن العشرين، ثم إستبداد الحاكم إلى أواخر الستينيات، ثم واجهت الاغتراب الناشئ عن الاختيارات الاقتصادية الليبرالية، ثم إنخرطت في المعركة ضد الإرهاب الذي ما فتئت تقلبه سؤالا قديما جديدا وإن ازداد غموضا وتعقيدا وشيوعا وتشظيا بعد أحداث 11 سبتمبر 2001.

فالإبداع فيما وضحته بن شيخه وآخرون ليس مشروطا بسياق اجتماعي وسياسي، انه يتصف بالحرية وينتفش أكثر في ظل واقع الاستبداد والعنف والإرهاب، ولذلك فان إنتاجه وتداوله في مثل تلك السياقات والظروف يصبح علامة صحة ودليل عافية⁹

المأمل في المتون الإبداعية يلاحظ أن العنف بصفة عامة (الحرب والتدمير) والإرهاب بصفة خاصة (الاغتيالات والتخويف) قد شكل أرضية خصبة لها، فالفنون بالإضافة إلى وظيفة الإمتاع تؤذي كماهر معلوم وظيفية اجتماعية تضعها باستمرار أمام سؤال: ماهر دورها إزاء التحولات الاجتماعية والسياسية؟، كما أن التناول الفني والإبداعي للقضايا والظواهر على رأسها الإرهاب، يختلف عن التناول التاريخي والسياسي، ويختلف باختلاف طبيعة الفن وأدواته، واختلاف زوايا نظر المبدعين وعلاقتهم بالتيارات والقوى السياسية من جهة، وبالجمهور المتلقي بالجهة الأخرى .

في ظل مايشهده العالم العربي والإسلامي من تقتيل وعنف بسبب الإرهاب والتطرف، واستفحال الفكر المتزمت للجماعات الإسلامية المشددة، لم يكن بمقدور المبدع والروائي الصمت واتخاذ مسافة للتعبير عن هذا الواقع المروع، الذي تشهده الشعوب العربية، حيث صدرت في السنوات الأخيرة روايات لأسماء مرموقة وأخرى مغمورة تتخذ من سؤال التطرف والإرهاب موضوعا لأعمالها الإرهابية، منها ما عبر عن هذا الواقع، وعن التردّي الفكري والاجتماعي والثقافي، في محاولة لفضح وتعرية أنظمة الواقع والغوص في عوالم الإرهابيين للبحث عن أسباب هذا الانحراف والانزلاق الخطير، وقد استطاعت الرواية أن تكون مرآة المجتمع من حيث الحجم وتعدد الشخصيات، وتنوع الأحداث، بالاعتماد على السرد والحوار والوصف وصراع الشخصيات أن تميظ اللثام عن شخصية الإرهابي، وتكشف عن جذور التطرف الديني لدى الشعوب العربية، وعلى الرغم من التباين الكبير في المستويات الفنية للرواية العربية، التي تناولت موضوع الإرهاب والتطرف، إلا أنها عكست حجم المأساة الحقيقية التي شهدتها المجتمعات العربية

الواضح أنه هناك روايات عربية عديدة اهتمت بتيمة الإرهاب، وأكثر من ذلك أن لجأ بعض كتابها إلى إختيار لفظة الإرهاب أو أحد مشتقاته مكونا مركزيا من مكوناتها عنوانها لتجعل منه الأرضية الخصبة، التي يسير

عليها خط السرد، ومن ذلك رواية إرهائيس أرض، أرض الإثم والغفران لعز الدين ميهوبي، الجزائر 2006، وسوق الإرهاب لمحمد القواسمة، الأردن، 2012 فتاوى زمن الموت لإبراهيم سعدي الجزائر 1990، وذاكرة الماء لواسيني الأعرج 1997، ربح اللجنة لتركي الحمد السعودية 2005 نقطة تفتيش لمحمد الحفيظ السعودية 2006، سيقان ملتوية لزنب حنفي العراق 2007 وراقسة داعش لأسماء وهبة 2015 وغيرهم.

والملاحظ أن أغلب الروايات العربية التي اهتمت بهذه الظاهرة كتبها روائيون عاشت أقطارهم هذه الظاهرة بعمق كالجزائر والعراق، ومرد ذلك للعلاقة المتبادلة بين الأجناس والواقع الاجتماعي والسياسي، وهو ما أشاد به لوسيان غولدمان حين عرف الرواية على أنها، بحثا عن قيم أصيلة في عالم منحط، وليس أكثر تعبيرا عن هذا الانحطاط في ترويع الناس وارهابهم.

تجدر الإشارة إلى أن الرواية منذ نشأتها انقلابية، ولعل ذلك يمثل وجه التقاء وتشابه بينها وبين الإرهاب، فكلاهما انقلابيان يسعىان إلى إعادة تشكيل العالم، ففي حين يرغب الإرهابيون من خلال عمليات عنيفة قتلا وتدميرا في فرض واقع آخر جديد وبالتالي رسم ملامح تاريخ آخر مختلف، في المقابل تهدم الرواية عوالم قديمة وتبني أخرى جديدة، إلا أن هذا التماثل لا يخفي صفة التناقض الجوهرية بين الظاهرتين، فإذا كان الإرهاب إسكاتا للأخر ومنعا للاختلاف والتنوع، فإن الرواية استعادة للأخر وفضاء للمتعدد والمختلف وبناء في للعوالم ممكنة ورفضاً للرؤية الأحادية، لينتهي سرد الإرهاب بمشاهد الأشلاء والجثث والأنقاض للموت والخراب، بينما تنتهي سرد الرواية تطهرا من الشر وولادة الحلم بالحرية، لأن الإرهاب لا يعرف فن الحوار ومتعة الجدل، في حين الرواية لا تكون إلا بوليفونية تتضمن كل الأصوات وتمنح حكايات الناجين من رصاصه ما تعبر به إلى زمن الخلود، فهي سرد نقيض لحكاية الإرهاب والقتل، وهو ما جعلها تكون في دائرة الاستهداف لها ولشخصها.

3- الشخصية في المتن الروائي:

تمثل الشخصية مكانة مهمة في بنية الشكل الروائي، فهي أداة ووسيلة الروائي للتعبير عن رؤيته، وتعد العنصر المحوري والعمود الفقري في أي عمل روائي، ولهذا أولى الكتاب والروائيون أهمية قصوى لها، لكونها القيمة المهيمنة في الرواية، والتي تتكفل بتدبير الأحداث وتنظيم الأفعال، واعطاء القصة بعدها الحكائي فهي "أحد الأفراد الخياليين أو الواقعيين الذين تدور حولهم أحداث القصة"¹⁰، وينبغي للشخصية الروائية أن ينظر إليها على أنها "كائن إنساني يتحرك في سياق الأحداث"¹¹، بل وابتعد من ذلك، حيث يرى بعض من المنظرين للرواية أن الشخصية "عالم حكايات قابل للتحليل في ثنائيات تقابلية مختلفة التنسيق على مستوى كل شخصية"¹².

فالروائي الحقيقي هو ذلك الذي يخلق الشخصيات، والعمل الروائي تكمن قوته في حسن اختيار الشخصيات وكيفية انتقائها يقول اندريه جيد "الرواية كما أعرف عليها أو أتخيلها تتضمن تنويعه من وجهات النظر تخضع لتنوعية من الشخصيات الموجودة على المشهد"¹³، والروائي لا يبني شخصه عبر سرد جاف غير مقنع، بل يترك للشخصية بعض الحريات، بحيث يختارها بكل ذكاء وتغدوا أكثر إقناعا، وتنغمس في المجتمع

معبرة عنها، لأن الحياة بمشاكلها المتنوعة اقتضت "تسخير الأدب لتحليل الحياة الاجتماعية ونقدها والإيحاء بالثورة على الفاسد منها"¹⁴، فبعض الشخصيات أوديت بهم المشاكل الاجتماعية للهاوية، ودفعت بهم لأن يكونوا إرهابيين يقتلون دون رحمة.

لقد اهتمت البحوث السوسيولوجية بالشخصية وأثبتت فعاليتها، حيث أنه بإمكاننا أن نعرف من خلالها كل ما "يتعلق بحياة الشخصية كالمستوى التعليمي والمهنة والطبقة الاجتماعية التي تنتمي إليها وعلاقتها بكل ما حولها"¹⁵، فكل كاتب لأي عمل روائي يعطي اهتماما بالدرجة الأولى للشخصية، من حيث أبعادها الحسية والنفسية والاجتماعية، والصورة المثالية لشخصية الفنية الأدبية تعتمد على التكوينات الذهنية المتخيلة للأفعال والظواهر المتعاقبة، الخاصة بحركة الحياة وحركة القضايا العامة التي يمكن تفسيرها وتحليل دوافعها في إطار الوعي الإنساني المتعارف عليه¹⁶.

فهي بذلك تعد الوسيط بين المؤلف والقارئ، لذلك يهتم المؤلف بإبراز بعض المكونات الخاصة بها حتى يجعلها تنبض بالحياة بطريقة تتوافق مع الطبيعة النفسية للقارئ والكاتب وعنصره لوصف نظام الحكمي، مسهمة في تشكيل بنية النص الروائي.

4- في تلقي الرواية (الصدمة لياسمينه خضرا) :

رواية الصدمة للكاتب الجزائري الفرانكفوني المترجمة للعربية عن دار الفارابي، وهي إحدى ثلاثية الكاتب التي خصصها للتعبير عن مأساة الشعوب العربية المضطهدة، من طرف إرهاب المستعمر الغاشم وإرهاب الجماعات الأصولية الدينية، ذات الفكر المغلق العدائي المكفر لكل ما يمت للنظام ومتبعيه ومؤيديه، من المثقفين والنخب، تدور أحداثها حول ما يعانيه الشعب الفلسطيني من الحزن المتراكمة على مدار العقود، حيث يستند عمله إلى مشاهد وحوارات موحية بالأسئلة التي تأخذ بتلايب المتلقي على مدار الرواية، كما يعتمد على وجوه التعارض بين وجهات النظر المتضادة، حيث يفتح الكاتب عمله من نهايته بمشهد تفجيري مؤلم نفذه قوات الاحتلال الصهيوني بغارة استهدفت أحد أهم رموز الحركة الجهادية المسلحة، وهو الخطيب الذي يبارك الانتحاريين ويغذي عقولهم بتبني هذه الأفكار الأصولية، في سبيل الدفاع عن الوطن واسترجاع الحرية والشرف المسلوب، وقد كشف الروائي في هذا المشهد عن شخصيات الرواية وحياة البطل أمين الطيب الجراح، الذي يعيش في تل أبيب، وهو فلسطيني يحمل الجنسية الاسرائيلية، حقق انجازات مشهودة له في مجاله كطبيب جراح، ينم أمين بحياة مترفة في حوض الطبقة الأوروسطقراطية، في منبئ عن مأزق السياسة والصراع الديني، إلا أن المفارقة تحدث وتخلف الصدمة عند أمين حينما يكتشف إن زوجته سهام والتي مثلت أيقونة الحب والحياة عنده، تقوم بالعملية الانتحارية في مطعم قرب المشفى، الذي يعمل فيه والتي راح ضحيتها أطفال أبرياء لا ذنب لهم في الأحقاد والصراعات، يتحول أمين في ظل هذه التغيرات الحياتية الصادمة إلى شخص منبوذ مستباحة كل ممتلكاته، لتعمق هوة الأزمة عنده فيشد رحاله إلى جنين، ليقف لحظة على دافع هذا القرار الذي تبنته زوجته، من خلال حوار جدلي مع عادل

والشيخ مروان ، فترتفع الغشاوة عن عينيه وهو في طريقه إلى ما وراء الجدار العازل ، إلا أن وجوده بين بني قوه لم يكن مرحب به، حوله ذلك إلى كائن مسلوخ من الهوية والانتماء يظل يكابد حالة الاغتراب الروحي والكياني، ليكون شاهدا على حالة من سلب الهوية والتعدي بالقوة ،الذي قام به جنود الاحتلال حينما هدموا بيت جده الذي كان يمثل الانتماء والهوية ،والشرف أمام ناظره ، لتنتهي الرواية بتصوير مشاهد اغتيال الشيخ مروان بطائرة لاسلكية ويتلقى فيها أمين بطل الرواية أنفاسه الأخيرة وهو يبحث عن قريته فاتن التي منحت نفسها كفدائية ليباركها الشيخ مروان.

5-الشخصيات ودورها في إبراز العنف الدموي الصهيوني :

تعددت وتنوعت الشخصيات في رواية الصدمة وكل حسب الدور الذي يؤديه بها

أ-الشخصية النامية:

تمثلت في شخصية أمين بطل الرواية وراويها، فلسطيني الأصل اسرائيلي الجنسية شخصية معقدة لا يمكن اختزالها بسلوك معين أو عبارة واحدة ، لأن الرواية تتمحور حولها وتساهم في سير أحداثها وتتأثر بها من كل زوايا أبعادها، الجسمية والنفسية والاجتماعية.

أمين نموذج الشاب الفلسطيني الحالم والحامل للجنسية الاسرائيلية ، المناضل لتحقيق أحلامه وافتكاك مكانة مرموقة "حصدت مرارا للجوائز على أبحاثي العلمية وجودة أدائي"¹⁷، يعيش مع زوجته "سهام" في أرقى أحيائي تل أبيب ، بعدما كان لا يملك شيئا في مسقط رأسه يقول : "كانت ثروتي تقتصر على سيارة قديمة مصابة بالربو تعطل باستمرار عند كل زاوية شارع، انتقلنا للعيش في مساكن شعبية لا فرق بينها وبين جحور الأرانب ... واليوم نقطن في دار خلافة تقع في أرقى أحياء تل أبيب"¹⁸

وكانت لحادثة التفجير الانتحارية لزوجته صدمة أملت بالبطل ،ى بعد أن علم أن زوجته من بين المصابين جاء على لسانه: "ظننت أن السماء تهوي على رأسي حين أزيحت الملاءة التي تغطي ما تبقى من سهام"¹⁹ ، إن الجريمة الإرهابية الانتحارية التي قامت بها سهام بعد غسيل مخ من قبل الجماعات الأصولية دامت لسنوات، غذتها إيديولوجية معادية للحياة ، ومتعدية على النفس والإنسانية ، مهما كانت دوافعها، ارتكبت في حق أطفال أبرياء لا علاقة لهم بما يحدث من صراعات بين شعبين مختارين في أرض الله المباركة.

في ظل هذا يحاول أمين جاهدا بنفسية محطمة وممزقة البحث عن الدافع الذي جعل زوجته تتسبب في تلك الجريمة الإرهابية ، متنقلا من تل أبيب وكفرنا والناصرة ،وجنين والقدس وبيت لحم وهي كلها أماكن ترمز للكفاح والفداء ، والمعاناة التي يعيشها يوميا الشعب الفلسطيني في ذلك يقول : "أريد أن أعرف من أقنعتها بهذه العقيدة من حزمها بالمتفجرات وأرسلها إلى حتفها ، لن أبقى مكتوفة اليدين أو أطوي صفحة لم أستوعبها"، إلى أن يلفظ البطل أنفاسه في غارة لجنود الاحتلال الاسرائيلية ، التي اغتالت أحد قادة الكفاح المسلح المقاوم الفلسطيني .

إن ما أقدمت على فعله سهام كان إرهابا في حق زوجها ، و ونحكا لبناء أسرة متماسكة بنسبها ، فزوجها أمين الذي يرفض الحرب والعداوة المحي للحياة ، يتحول فجأة دون سابق انذر إلى شخص محطم فاقد لمعنى وجوده ، يظهر ذلك في المقطع السردى تحاصرني أفكارى تتلاعب بمشاعري تقتات من ضعفي ، تستغل حزني أدرك عملها الهدام وادعها تفعل فعلتها ... أسعى للتفيس عن هذا الرعب المخيم الذي يتخبط في أحشائي .

أمين لم يكن حماسويا ولا جهاديا ، فهو لم يكن ييالي بالقضية الفلسطينية يريد أن ينتقم ممن جند زوجته لتكون مشروع قبلة فقط ، فهو الشاب العربي والابن الوحيد لشيخ قبيلة بدوية ، ما كان يحلم الا باليوم الذي يرى فيه أمين طبيبا ناجحا ، وأن تكون عربيا وتنجح في إسرائيل ليس بالأمر الهين ، فلم تكن طريقه سهلة فما كان مطلوبا من شاب عربي مثله عشرات الأضعاف مما يطلب من شاب اسرائيلي يهودي ، كان عليه أن يثبت ذاته وان يقنع بجدارته بشهادة الدكتوراه في الجراحة ، أن يتلقى الضربات ، ليحول حدث الاعتداء أمين من شخص لا مبال بالقضية ولا بالسياسة ، إلى إنسان كأنه اكتشف فجأة انه عربي ، وان العروبة تهمه في إسرائيل رغم جنسيته الاسرائيلية ، يوضع في امتحان صعب عسير ، يكتشف عنف جيرانه من الاسرائيليين كأنه يتعرف عليهم للمرة الأولى ، يتعرض للاهانة والضرب وحتى محاولة القتل لولا تدخل زميلته القديمة كيم يهودا بعد الاعتداء لتنقذه من الموت البطيئ المحتم .

إن شخصية البطل مثلت العربي الفلسطيني الذي انسلخ عن هويته وعن قوميته الفلسطينية ، وعن قضية الدفاع عن الشرف والوطن لا يقيم الشعائر الدينية كالصلاة والصوم ... يتعايش مع اليهود وتقاليدهم وثقافتهم متبنيا منهج الحيادي ، الحالم بحب الحياة والتمتع بالسفر وحياة الرفاهية يقول "تخلت عن عشيرتي وقبلت الانفصال عن أُمي ووافقت على التنازلات تلوى الأخرى من أجلي تكريسي نفسي فقط لمهنتي كجراح ، لم يكن لدي الوقت للاهتمام بالصددمات النفسية التي تقوض الدعوة إلى المصالحة بين شعبين مختارين اختارا أن يحولا أرض الله المباركة الساحة رعب دامية وغضب"²⁰

من خلال شخصية أمين ، حاول الكاتب تجاوز تلك الصورة النمطية التي يرسمها عادة الآخر اليهودي اتجاه الأنا الفلسطينية والعربية عامة صورة الإرهابي ، ليظهر البطل في صورة الشخصية المسالمة المؤمنة بالتعايش السلمي والنابهة لكل أشكال العنف والتطرف وقتل الإنسانية.

ب- الشخصية المدورة:

هي شخصية متطورة غير ثابتة تتجلى بكيفية تدريجية أثناء الرواية ، تمتاز بالتحويلات المفاجئة طوال فترة السرد "وهي أصعب نوع من الشخصيات داخل العمل الروائي فهي صعبة التحليل والتشخيص لأنها لا تستقر على حال واحدة ، حيث يبدل القاص كل جهد لتصويرها وسر خفاياها وبيان صفاتها المتغيرة وسمتها المتعددة ، وتتمتع بصفات عاطفية وفكرية وانفعالية متعددة"²¹

يمثل تلك الشخصية في شخصية "سهام" وهي زوجة البطل الفلسطينية الأصل ويهودية الجنسية ، تعشق البحر وتنهر بساعة الغروب عاشت يتيمة في أرضها متشعبة بالآلام والأحزان ، والماسي التي يقوم بها الصهاينة ، اعتادت الإقامة عند جدتها في كفرنا والناصرة، لكونها تعشق المزرعة والسهرات العائلية ، وهو ما كان ظاهرا لزوجها ، لكنها في الحقيقة كان طموحها بأن تكون فدائية استشهادية ، وكانت تحضر لتحقيق ذلك من خلال مساعدة رجال الجهاد لها في تغذية عقلها على شعف الموت وانتظاره ، فكانت محرك فرع الحركة في تل أبيب وضعت حسابها المصرفي لصالح القضية ، وأرسلت رسالة مجهولة بأربعة أسطر لزوجها قبل أن تقوم بالعملية الانتحارية ، التي خلفت ضحايا أطفال ويظهر ذلك في قولها : "ما نفع السعادة إذا لم يتقاسمها المرء يا حبيبي أمين ؟ كانت أفراحي تخمد كلما كانت أفراحي لا تجاريها كنت تريد أطفالا كنت أريد أن أقتلهم ... ما من طفل تماما بمأمن بدون وطن لا تنتقم علي سهام" ²²

"سهام" الفدائية في نظر الحركة الجهادية الأصولية والمناضلين لها ، لم تحضر حية في الرواية بل صورها الكاتب كشخصية انتحارية بفعالها الإرهابي في حق زوجها ، الذي كان يراها أيقونة الحب والحياة بالنسبة له ، وجريمة في حق النسل والتماسك الأسري، لقد دمرت حياة زوجها بأكملها، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى توحى شخصية سهام بالإقدام والشجاعة والتضحية والدفاع عن شعبها ووطنها حتى وان أودى ذلك بحياتها ، كما ترمز لفلسطين الوطن الميت وتخاذل العرب المسلمين عنها.

وتبرز شخصية الشيخ مروان وهو خطيب متشعب بالأفكار الأصولية ، يبارك الانتحاريين والعمليات الانتحارية ، ويدفع الفلسطينيين للجهاد والفداء والتضحية بالنفس لأجل دحض الأعداء الصهاينة ، يرى أن ما فعلته سهام هو تضحية من أجل الوطن والشرف ، يظهر ذلك في قوله "أولئك الذين يهبون حياتهم ليلا ونهارا ، لا يقبلون أن يموتوا وسط ازدياد الآخرين ، فإما الكرامة أو الموت ، أما الحرية أو القبر ، إما العزة أو المقبرة الجماعية ولا حزن ولا حداد سيثنيهم عن القتال ، من أجل ما يعتبرونه جوهر الوجود وهو الشرف" ²³

كما يعتبر الشيخ مروان "أمين" أنه يمثل الشخصية الفلسطينية التي تنصلت من قضية وطنها، تعيش من أجل العيش بجواز سفر يهودي ، ويظهر ذلك في قوله في المقطع السردى الآتي : "إذا لم تخبرك زوجتك عن نضالها فهذا لا يعني أنها خانتك ، لم يكن لديها ما تقوله لك ، لم يكن لديها تبريرات تقدمها لأحد بما أنها فوضت أمرها لله ... لا أطلب أن تغفر لها ، فما مغفرة الزوج حين تكون قد حصلت على نعمة الله ؟ ... كانت تفصيك من اللعبة امرأة أدركت أين يكمن واجبها ، لا حقيقة عربي يظن نفسه أنه نجح بفضل جواز سفر اسرائيلي" ²⁴.

تبرز شخصية "عادل" وهو شاب في مقتبل عمره لم يتجاوز الخامسة والعشرين من عمره ، رجل طموح وحالم ومحب للنجاح في حياته ، لم يستقر على حال واحدة ، كان يزور أمين في تل أبيب بغية مشاركته في أعماله ويذكر الراوي بعضا من الأحداث التي جمعتها بعادل يقول : "كان شابا ومفعما بالحيوية يحلم بالنجاح مهما كلفه الأمر ... كان يريد العمل في إعادة تدوير قطع غيار السيارات كان يقيم في ضيافتي كلما زار تل أبيب . ويحلم

بأن يؤسس شركة في بيروت ليغزو السوق العربية²⁵، لكن بعد معرفة أمين أنه كان مشاركا لزوجته وما خططت لفعله، تزعزعت صداقتهما وأخذت منحا انتقامية أخرى.

كان "عادل" واحدا من بين المناضلين في سبيل القضية الفلسطينية، ومؤمنا بها إلى النخاع وضع كل أمواله من أجل دعمها، متنكرا رفقة سهام الانتحارية في تل أبيب ويصرح كذلك ببعض الأحداث، التي وقعت له وبعض من الطرق النضالية التي كان يستعملها²⁶ لم يكن عادل يأتي إلى تل أبيب من أجل تجارته بل لمدخلية الانتفاضة بالمال، كان يستفيد من شهرتي وضيافتي لثلا يثير الشبهات... يظن آبي وأمي أنني أعمل في التجارة ينتظر كلاهما أن أجنبي ثروة من أجل الانتقام من يؤسهم يجهلان كل شيء عن أنشطة النضالية²⁷.

تعكس لنا شخصية عادل في المتن الحكيم دور الشاب الطموح المناضل المتشبع بايدولوجيا الأصولية، التي تعطي للموت معنا آخر، فيصبح الحلم الذي يطمح له كل شاب فلسطيني، معتقدا أنه السبيل الوحيد لاسترجاع الأرض ومحاربة اليهود في أرض الله المباركة، من خلال الانتماء إلى حركة الجهاد الإسلامي، التي تعمل على إنتاج وتكوين الفدائيين بقيادة الشيخ مروان، وهو إمام وخطيب الجماعة يعمل جاهدا على تنمية هاته الأفكار في عقول الشعب الفلسطيني، من خلال خطبه المستلهمة لفكرهم ومشاعرهم، فيرتمون متسابقين في حضان الفداء كما لو أنهم ذاهبين للجنة.

ج-الشخصية النمطية

تمثل هذه الشخصية في الفئة الفلسطينية المستعمرة التي تعاني طيلة أحداث الرواية من العنف والاستبداد وظلم الاحتلال الصهيوني، وما يسببه من جروح مادية ونفسية في ذوات الفلسطينيين، إذ مارسوا فيهم كل أنواع الوحشية والجرائم، وفي تكرار كل لحظة، صور مفجعة صور أبرزتها الرواية تدل على زمن الكراهية، والحدق والتمييز العنصري والإذلال والقمع للأرض والشرف، فالهجوم والانفجارات تدوي وتحصد الأرواح البريئة، وخاصة ما يحدث في جنين موطن الدماء بامتياز ومن ذلك يذكر الراوي: "انفجرت قذيفة بعيدة، ثم قذيفة ثانية، في السماء الغبراء تطن طوافتان، وقد جهزتا صواريخهما، مضيت خلف سيارتي الإسعاف بحیطة وحذر، دمرت الدبابات والجرفات بيوتا بالكامل، وهناك بيوت أخرى دمرت بالديناميت فخلفت مكانها مساحات خاوية مرعبة²⁸.. هذه الصورة النمطية هي حقيقة يعيشها الشعب الفلسطيني وينام على تجميع موتاه.

يعيش الفلسطيني هذه الفاجعة كل يوم، كأنه كابوس لا يعرف متى وكيف حدث هذا الاعتداء، وما يظهر فقط واضحا هو نتيجة هذا الاعتداء، والمجسدة في أرض الواقع بمئات القتلى والجرحى متناثرين هنا وهناك يقول: "ترفض السنة اللهب أن تلتهم السيارة أن تتحرك والشظايا أن تهوي تبحث يدي عن نفسها وسط الركام... رغم الأجساد المحتضرة على قارعة الطريق²⁹"، وفي موضع آخر ثمة شيء يخرق السماء ويومض وسط قارعة الطريق أشبه بالبرق في أقل من ثانية تداعمت السماء وانقلب الشارع الذي كان عامرا بالورع وانقلب رأسا على

عقب ..³⁰ ، وهذا يدل على صورة العنف والإرهاب الممارس من قبل القوات المحتلة للشعب الفلسطيني الأعزل ، فالشخصية الفلسطينية نمطية على مستوى الرواية تموت قهرا ماديا ومعنويا من اعتداءات الآخر .

د- الشخصية المسطحة

هي الشخصية التي لا تتأثر بالأحداث وتظل بسيطة لا تعقيد فيها، لها بعد واحد فحسب وسمات قليلة ويمكن التنبؤ بسلوكها، تحمل في الغالب فكرة أو صفة ثابتة طول سير الأحداث ، وتسهم مساهمة كبيرة في الحبكة لكن وجودها أساسي لتكتمل الأحداث وتتطور ، "فهي الشخصية التي لا تكاد تتغير أو تتبدل في عواطفها وموقفها بعامه"³¹

وقد مثلت هذه الشخصية في الرواية أصدقاء البطل (أمين) "كيم" و"نافيدا" وحتى "عزرا" و"أيلان روس" و"سام" و"ياسر" و"ليلي" و"فاتن" حيث رافقا أمين طوال أحداث الرواية وكانا إلى جانبه ، مساعدة ودعمًا له ماديا ومعنويا قبل وأثناء العملية الانتحارية التي قامت بها زوجته سهام، حاولوا جاهدين مساندته ومشاركته أحزانه وصدمته وكانت لهم وجهة نظر واحدة من البداية إلى النهاية ، معتبرينه الصديق الوفي ذاته رغم كل ما حصل.

الواضح إن شخصيتهم كانت مسامحة وعطوفة ومساندة وداعمة ولو لاهما لما استطاع أمين الخروج من صدمته ، ودخل في دوامة لانهاية لها ، من جراء الصدمة التي خلفتها عملية الانتحارية التي قامت بها زوجته، وبالتالي فهذه الشخصية بقيت على حالها لم تغير موقفها ، ولا مساندتها للبطل وكانت محاولتها مستمرة للتخفيف من وقع الصدمة على البطل لتكون هذه الشخصية ثابتة على طول أحداث السرد، فقد خدمت الشخصية المحورية لتحقيق غايته في البحث عن الحقيقة ، كما تساعد أيضا هذه الشخصيات في سير مجريات الأحداث ، وتجعل بذلك القارئ يستوعب الهدف والغاية التي يسعى إليها الكاتب من خلال روايته .

خاتمة:

مما سلف يمكن أن نستنتج ما يلي:

- شغلت قضية الإرهاب حيزا كبيرا في الرواية العربية عامة ورواية الصدمة خاصة، لأنها مثلت سلاح ثقافي متصدي وفاضح له بكل المقاييس ، لان الإبداع الروائي هو الوحيد القادر على طرح الأسباب والحلول وتمثلها للشخصيات من خلال السرد والوصف والحوار كونها تمثل نظرة فردية متغلغلة في خبايا المجتمع .
- إن رواية الصدمة هي واحدة من ثلاثية ياسمينه خضرا التي خصها لتجسيد ماساه ومعاناة الشعوب العربية المضطهدة ويظهر في رواية الصدمة أنه سعى إلى تناول إمكانية التعايش السلمي ومدى تقبل الأنا المضطهدة أمام آخر عنيف، مجسدة في فلسطين وإسرائيل ، وقضية الصراع الذي دار بينهما ومازال، ليكشف عن سوداوية الواقع الفلسطيني ونضاله ومعاناته لسنوات دامية من الحزن والألم واليأس

- من خلال الشخصيات التي تمثل العمود الفقري للمتن الحكائي، تبرز لنا لغة الرواية التي ركزت على القاموس اللغوي الفجائي.
- أن الشخصيات في الرواية لم تكن شخصية ورقية في الحكوي بل محرك هام في سيرورة الأحداث، وأن الرواية أخذت أبعادها الجمالية عبر التوظيف الدلالي المحكم لمكوناتها.
- يحتشد النص بالخطابات المتباينة، حيث يفتح عليها المتلقي حسب حالة التوقع للشخصيات التي تساوي الراوي في معرفة الأحداث.

الهوامش:

- ¹ - محمد بن علي الأنصاري ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، مجلد 4، ط2، 2010، ص، 345.
- ² - محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي: مختار الصحاح، الهيئة المصرية العامة، القاهرة مصر، ط 11، 1962، ص 256.
- ³ - كمال النيص: ظاهرة الإرهاب، المفهوم والأسباب والدوافع، الحوار المتمدن، محور دراسات وأبحاث قانونية، ع: 3419.
- ⁴ - Oxford Advanced learner's Dictionary of current English, 1974.p123
- ⁵ - سعيد فكرة، مؤتمر الأدب في مواجهة الإرهاب، المملكة العربية السعودية، جامعة الامام محمد بن سعود، كلية اللغة العربية، ج1، 2012، ص، 211-212.
- ⁶ - أحمد محمد رفعت، صالح بكر الطيار: الإرهاب الدولي، باريس، مركز الدراسات العربي الأوروبي، ط 9، 1998، ص 218.
- ⁷ - هبة الله احمد خميس مؤتمر الأدب في مواجهة الإرهاب، الإرهاب الدولي أصوله الفكرية وكيفية مواجهته المملكة العربية السعودية، جامعة الامام محمد بن سعود، كلية اللغة العربية، ج1، 2012، ص52.
- ⁸ - صالح سليمان عبد العظيم، سوسيولوجيا الرواية السياسية يوسف العقيد أنموذجا، الهيئة المصرية للكتاب، مصر، 1998، ص20.
- ⁹ - أم الزين بن شيخة المسكيني، الفن في زمن الإرهاب، منشورات الإختلاف، وضاف ودار الأمان، الجزائر، ط1، 2016، ص 18.
- ¹⁰ - مجدي وهبة وكمال المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة بيان بيروت، بيروت لبنان ط1، 1984، ص 208.
- ¹¹ - هيام شعبان، السرد الروائي، في أعمال إبراهيم نصر الله، دار الكتاب للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2000، ص 119.
- ¹² - نبيل زويتش، تحليل الخطاب السرد في ضوء المنهج السيميائي، منشورات الإختلاف، الجزائر، ط1، 2004، ص 150.
- ¹³ - نهاد التكريتي، الرواية العربية الجديدة، دار الحرية للطباعة والنشر، ط1، بغداد، 1985، ص 18.
- ¹⁴ - محمد مندور، الكلاسيكية والأصول الفنية للدرام، دار النهضة، القاهرة مصر، ط1، دت، ص 89.
- ¹⁵ - غنيي هلال، النقد الأدبي الحديث، دار العودة، ط1، بيروت، 1982، ص 614.
- ¹⁶ - شريط أحمد شريط، تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة، دار القصة للنشر، الجزائر ط1، 2009، ص 49.
- ¹⁷ - ياسمينه خضرا، رواية الصدمة، دار الفرابي، ترنهلة بيضون، بيروت لبنان، ط1، ص31.

- 18 - المصدر نفسه، ص 31.
- 19 - المصدر نفسه، ص 41.
- 20 - المصدر نفسه، ص 193.
- 21 - المصدر نفسه، ص 132.
- 22 - المصدر نفسه، ص 115.
- 23 - المصدر نفسه، ص 186.
- 24 - المصدر نفسه، ص 244.
- 25 - المصدر نفسه، ص 145.
- 26 - عدنان فال عبد الله، النقد التطبيقي التحليلي، سلسلة الكتب الشهرية آفاق. دار الشؤون الثقافية العامة، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، العراق، ط1، 1986، ص 67.
- 27 - المصدر نفسه، ص 129.
- 28 - المصدر نفسه، ص 233.
- 29 - المصدر نفسه، ص 08.
- 30 - المصدر نفسه، ص 10.
- 31 - عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة، الكويت، ط1، 1998، ص 89.

قائمة المصادر والمراجع:

• المؤلفات:

1. أحمد محمد رفعت، صالح بكر الطيار: الإرهاب الدولي، باريس، مركز الدراسات العربي الأوروبي، ط 9، 1998.
2. أم الزين بن شيخة المسكيني، الفن في زمن الإرهاب، منشورات الإختلاف، وضاف ودار الأمان، ط1، 2016.
3. بدوي أحمد زكي: معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، بيروت، لبنان، د ت، د ط، 1970.
4. شريط أحمد شريط، تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة، دار القصبة للنشر، ط1، الجزائر، 2009.

5. صالح سليمان عبد العظيم ،سوسيولوجيا الرواية السياسية يوسف العقيد أنموذجا ،الهيئة المصرية للكتاب ،مصر، 1998.
6. عدنان فال عبد الله، النقد التطبيقي التحليلي، سلسلة الكتب الشهرية آفاق، دار الشؤون الثقافية العامة، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، العراق، ط1، 1986.
7. غنيي هلال، النقد الأدبي الحديث، دار العودة، بيروت ، لبنان، ط1 ، 1982.
8. مجدي وهبة وكمال المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة بيان بيروت، لبنان ، ط1، 1984.
9. محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي: مختار الصحاح ، الهيئة المصرية العامة، القاهرة ، مصر ط11، 1962.
10. محمد بن علي الأنصاري ابن منظور: لسان العرب ، دار المعارف ، لبنان ، بيروت ، ط2، د ت.
11. محمد مندور، الكلاسيكية والأصول الفنية للدرامى، دار النهضة، القاهرة ، مصر، ط1، ، د ت.
12. نبيل زويتش، تحليل الخطاب السردى في ضوء المنهج السيميائي، منشورات الإختلاف، الجزائر ط1، 2004.
13. نيهاد التكريبي، الرواية العربية الجديدة، دار الحرية للطباعة والنشر، بغداد ، العراق ، ط1، 1985.
14. هيام شعبان، السرد الروائي، في أعمال إبراهيم نصرالله، دار الكتاب للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2000.
15. ياسمينه خضرا، رواية الصدمة، دار الفرابي، تر: نهلة بيضون، بيروت ، لبنان، ط1، 2007.
16. Le petit Robert, Dictionnaire de la langue française, paris, 1993.
17. Oxford Advanced learner's Dictionary of current English, 1974.

• المقالات:

18. عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة، الكويت، ط1، 1998.

19. كمال النيص: ظاهرة الإرهاب، المفهوم والأسباب والدوافع، الحوار المتمدن، محور دراسات وأبحاث قانونية، ع: 3419.

• المداخلات:

20. هبة الله احمد خميس مؤتمر الأدب في مواجهة الإرهاب، ، الإرهاب الدولي أصوله الفكرية وكيفية مواجهته ، المملكة العربية السعودية ، جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ، كلية اللغة العربية ، ج1، 2012
21. سعيد فكرة ، أدب الهوية الوطنية واثره في مواجهة الارهاب الادباء الجزائريين انموذجا، مؤتمر الأدب في مواجهة الإرهاب ، المملكة العربية السعودية ، جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ، كلية اللغة العربية ، ج1، 2012.